نَكْبَةُ بَنِي حُرَيْقة

حَكِّمْ سُيُوفَكَ في رِقابِ العُذَّلِ
وإذا نـزلْـتَ بِـدارِ ذُلٍّ فَـارْحَـلِ
وإذا بُـلِـيـتَ بِـظـالـمٍ كُـنْ ظـالِـمـاً
وإذا لَقِيتَ ذَوِي الجَهالَةِ فَاجْهَلِ
وإذا الـجَـبـانُ نَـهـاكَ يَـوْمَ كَـرِيـهـةٍ
خَوْفاً عَلَيْكَ مِنَ ازْدِحامِ الجَحْفَلِ[1]
فَاعْصِ مَقالَتَهُ ولا تَخْفِلْ بِهـا
واقْـدِمْ إذا حـقَّ الـلِّـقـا فـي الأَوَّلِ
واخْتَرْ لِنَفْسِك مَنْزِلاً تَعْلُو بِهِ
أَوْ مُتْ كَرِيماً تَحتَ ظِلِّ القَسْطَلِ[2]

---

(١) الجحفل: الجيش، ويقصد بأن الجبان إذا نهاك عن الإقدام في الحرب خوفاً عليك من الموت والقتل، فلا تصغ إلى هذا النصح.
(٢) القسطل: غبار الحرب.

فَالمَوْتُ لا يُنْجِيكَ مِنْ آفاتِهِ
حِصْنٌ ولَوْ شَيَّدْتَهُ بِالجَنْدَلِ
مَوْتُ الفَتى في عِزِّهِ خَيْرٌ لَهُ
مِنْ أن يَبِيتَ أسيرَ طَرْفِ أكْحَلِ
إنْ كُنْتُ في عَدَدِ العَبِيدِ فَهِمَّتي
فَوْقَ الثُّرَيَّا والسِّماكِ الأعْزَلِ
أوْ أنْكَرَتْ فِرسانُ عَبْسٍ نِسْبَتي
فَسِنانُ رُمْحِي والحُسامُ يَقِرُّ لِي
وبِذابِلي ومُهَنَّدي نِلْتُ العُلا
لا بالقَرابَةِ والعَديدِ الأجْزَلِ[1]
ورميتُ مُهْري في العَجاجِ فَخاضَهُ
والنَّارُ تُقدح مِنْ شِفارِ الأنْصُلِ[2]
خاضَ العَجاجَ مُحَجَّلاً حتّى إذا
شَهِدَ الوقيعَةَ عادَ غَيْرَ مُحَجَّلِ[3]
ولقدَ نَكَبْتُ بَني حُرَيْقَةَ نَكْبةً
لما طعَنْتُ صَمِيمَ قَلْبِ الأخْيَلِ

---

(١) الأجزال: الكثير.
(٢) النار تشبّ من صدام السلاح بالسلاح والسيف بالسيف.
(٣) كانت قوائم الجواد بيضاء فانصبغت حمراء من غزارة الدم الذي كان كالبحر في المعركة.

وقَتَلْتُ فارِسَهُمْ رَبِيعَةَ عَنْوَةً
والهَيْذُبانَ وجابرَ بنَ مُهَلْهَل
وابْنَيْ رَبِيعةَ والحَريسَ ومالِكاً
والزِّبْرقانُ غدَا طَرِيحَ الجَنْدَلِ
وأنا ابنُ سَوداءِ الجَبِينِ كأنَّها
ضَبْعٌ تَرَعْرَعَ في رُسومِ المَنْزِلِ
السَّاقُ مِنها مِثْلُ ساقِ نَعَامَةٍ
والشَّعْرُ مِنها مِثْلُ حَبِّ الفُلْفُلِ
والثَّغْرُ مِنْ تَحْتِ اللِّثَام كأنَّهُ
بَرَقٌ تَلألأَ في الظَّلامِ المُسْدلِ
يا نازِلِينَ عَنِ الحِمى وديارِهِ
هَلاَّ رأيْتُم فِي الدِّيارِ تَقَلْقُلي[1]
قَدْ طالَ عزُّكُم وذُلِّي في الهَوى
ومِنَ العَجائِبِ عِزُّكُمْ وتَذَلُّلِي
لا تَسْقِني ماءَ الحياةِ بذِلَّةٍ
بَلْ فَاسْقِني بالعِزِّ كَأْسَ الحَنْظَلِ
ماءُ الحياةِ بذِلَّةٍ كَجَهَنَّم
وجهنَّمٌ بالعزِّ أطْيَبُ مَنْزِلِ

---

(١) تقلقلي: قلقي.